المبحث الأول

مفهوم القراءة

تشير الدراسات إلى أن مفهوم القراءة بدأ بشكل بسيط، لا يتعدى تعرُّف الحروف والكلمات المكتوبة والتلفظ بها، إلا أنَّ مفهوم هذه العملية قد تطور وأصبح ينظر إلى القراءة على أنها عملية معقدة وترتب على ذلك ظهور مفاهيم متعددة وأنواع جديدة منها.

وسأحاول رصد بعض التعريفات المتعلقة بعملية القراءة مع مناقشتها واستنباط تعريف لها :-

يعد لفظ (القراءة) أحد المصادر الثلاثة للجذر اللغوي الثلاثي (ق ر أ) فالقراءة – لغةً تتضمن معنى الضم والنطق والإبلاغ معاً[١].

أما في الاصطلاح فيقول أفنـزني: (إن القول بأن فردا ما يعرف القراءة يمكن أن يترجم إلى معنيين، فهو يعني أولا أنه باستطاعة هذا الفرد أن يربط صوتا بحرف وأن يعبر عن حرف بالصوت الذي يناسبه) [٢].

أما روبيردو ترانس فيقول:- (القراءة عملية يراد بها إيجاد الصلة بين لغة الكلام والرموز الكتابية، ويفهم من هذا أن عملية القراءة ذات عناصر ثلاثة هي المعنى الذهني، واللفظ الذي يؤديه، الرمز المكتوب) [٣].

بينما يرى جودمان سميث وجراي أنَّ (القراءة عملية مركبة، مؤلفة من عدد من العمليات المتشابكة التي يقوم بها القارئ للوصول إلى المعنى الذي قصده الكاتب تصريحا أو تلميحاً،واستخلاصه وإعادة تنظيمه، والإفادة منه) [٤].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: مادة (قرأ) ، و قراءة التراث النقدي: ٢٠.
(٢) مقال أفنزني، ترجمة علي تعوينات، ١٩٨٣م، ص ٢٢.
(٣) روبيردو تر انس، ترجمة: أنطوان فوزي: ٤٥.
(٤) مقال (القراءة تعاريف وأنواع ووظائف) لحمدان علي ناصر: ٨١.

أما القراءة عند وبير (فهي عملية تطبيق القدرات اللغوية وتوظيفها في التعامل مع محتوى المقروء لاستخراج المعنى من الكلمة المكتوبة) (١).

من خلال ما تقدم يمكننا استخلاص التعريف الإجرائي الآتي: إن القراءة عملية ذهنية ورمزية وإنها نشاط يتم ممارسته بشكل متسلسل، كما يتصور، أن القارئ يتعلم أولاً كيف يوفق بين الأصوات ورموزها، ثم يربط بين مجموعة الكلمات التي يواجهها ليتمكن من إدراكها ومن هنا فإن القارئ يقرأ لا باستعمال عينيه فقط بل إن العامل الرئيس في القراءة هو العقل، وبمقدار المعرفة السابقة تكون القدرة على التحليل والتنبؤ بالمعنى والقدرة على الفهم والاستيعاب.

كما أن مفهوم القراءة عرف تحولا واضحا وانتقل من المعنى البسيط الشائع إلى المعنى المعقد النقدي.

وفي هذا الصدد يقول محمد عدنان سالم (لقد تطور مفهوم القراءة من المعنى البسيط السهل الذي يتمثل في القدرة على تعرف الحروف والكلمات، والنطق بها صحيحة، وهذا هو الجانب الآلي من القراءة إلى العملية العقلية المعقدة التي تشمل الإدراك والتذكر والاستنتاج والربط ثم التحليل والمناقشة وهي القراءة الناقدة التي تحتاج إلى إمعان النظر في المقروء ومزيد من الأناة والدقة) (٢).

نلمس في الكثير من التحديدات السابقة ارتباط القراءة بما هو مكتوب. وهذا ما قرره عبد الملك مرتاض كذلك حين أثبت أن فعل القراءة (يتمخض حتماً لنص مرقوم) (٣).

وهو ما قد يحيلنا إلى قول الكاتب ألبرتو مانجيل:- (القراءة تبتدئ بالعيون) (٤).

ولهذا فان القراءة هي تتبع كلمات النص المكتوب نظراً سواء وقع النطق بها (قراءة جهورية) أو لم يقع (قراءة صامتة) (٥).

---

(١) ينظر: من مصطلحات التعليم: (القراءة والإقراء) فريد أمعضشو، مجلة عود الند العدد ٣١ لسنة ٢٠٠٨: ٤.

(٢) القراءة أولاً، محمد عدنان سالم، دار الفكر /دمشق،ط٢ ١٩٩٩م: ٣٤.

(٣) القراءة، وقراءة القراءة للجزائري مرتاض، مجلة علامات في النقد، جدة ج١٥، م ٤ مارس ١٩٩٥م: ٢٠٩.

(٤) ما القراءة، مقالة الدكتور فريد أمعضشو: ٣ وينظر مصدره.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة قرأ).

وكذلك هي تحريك النظر على رموز الكتابة منطوقة بصوت عالٍ أو من غير صوت مع إدراك العقل للمعاني التي ترمز إليها في الحالتين[١].

كما نجد مجيد تومرت يقول:(إن مفهوم القراءة كما يتداوله النقاد والباحثون تعني تعدد الرؤى وزوايا النظر في التعاطي والتعامل مع النص أو الأثر الأدبي وتحليله على اعتبار أن النص كائن حي له شكل وهيكل وعناصر مكونه له تتفاعل وتتعالق فيما بينها لتشكل بنية متكاملة ديناميكية) [٢].

والقراءة بهذا المفهوم ليست عملية آلية خطية أو فعلاً بسيطا يستلزم متابعة بصرية لسطور النص ودواله، وهي ليست تلك القراءة التقبلية التي تقف عند حدود النص / الخطاب، بل إنها فعل خلاق، هي سفر في دروب ملتوية متشابكة من الدلالات التي نصادفها حينا ونتوهمها أو نتخيلها حينا آخر بل ونبدع في بنائها وتركيبها من خلال عملية التفكيك والتجميع والهدم والبناء وعملية التأويل داخل النص أو الخطاب من اجل عملية تركيب جديدة[٣].

من خلال ما تقدم نرى أن القراءة بهذا المفهوم عملية إبداع ثان على إبداع المؤلف.

والقارئ بهذا المفهوم أيضاً يسهم بالقوة وبالفعل في إنتاج المعنى، شرط أن يكون هذا القارئ متمكنا من أدوات القراءة الضرورية و هذا ما يسميه الدكتور محمد مندور بثقافة الناقد.

---

(١) ينظر: معجم مصطلحات الأدب لمجدي وهبه (مادة القراءة)، وينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب تأليف: مجدي وهبه وكامل المهندس (مادة القراءة).

(٢) مدخل عام إلى مفهوم القراءة الأدبية (مجيد تومرت) مجلة الحوار المتمدن، العدد ١٤١٠ لسنة ٢٠٠٥: ١.

(٣) ينظر: مدخل عام إلى مفهوم القراءة الأدبية: ٢.

انطلاقا من ما تقدم يمكن ان نسجل الملاحظات الخمس الآتية:-

أولاً: إن بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة (قراءة) ارتباطا أكيداً و هو أحيانا يكون جليا، وأحيانا خفيا يحتاج منا إلى تدبر واجتهاد لكشفه.

ثانياً: إن ما تقدمه الدراسات الاصطلاحية الحديثة، بخصوص مادة (قراءة) أهم وأجود مما تقدمه معجمات اللغة.

ثالثاً: لمصطلح (قراءة) معانٍ كثيرة إذ إنه حين يطلق يشير إلى مساحة واسعة من الدلالات.

رابعاً: عرف مفهوم القراءة تحولا واضحاً وانتقل من المعنى البسيط الشائع إلى المعنى المعقد النقدي.

خامساً: نلمس في بعض من التحديدات السابقة ارتباط القراءة بما هو مكتوب و هذا ما قرره عبد الملك مرتاض كذلك حين أثبت أن فعل القراءة (يتمخض حتماً لنص مرقوم) (١).

لقد كان مفهوم القراءة محصورا في العملية الآلية: إدراك الرمز المكتوب والنطق به، وكانت القراءة غاية في ذاتها بمعنى أن الإنسان يتعلم ليقرأ.

لكن المفهوم التقليدي تطور وأصبحت القراءة وسيلة لا غاية بمعنى أن الإنسان يقرأ ليتعلم وهناك فرق كبير بين المفهوم القديم والحديث، إذ أصبحت القراءة بالمفهوم الحديث مفتاحاً للعلوم المختلفة فالإنسان يقرأ ليتعلم ويتفاعل مع المقروء ويتأثر به(٢) .

ولهذا فإن الحديث عن القراءة يختلف باختلاف الإطار النظري الذي ينطلق منه كل دارس ولذلك تعددت تعريفاتها.

والقراءة قراءات ولكل قراءة خصوصياتها وأهم ما يميز القراءة الأدبية أنها تحاول البحث في المسافة الفاصلة بين الدال والمدلول وتعمل على فك أسرار التعدد الدلالي الذي يميز النص الأدبي أي إنها ارتحال وهجرة وعبور بين الدلالات بشكل دائم وهذا كاف وحده لجعلها تتعدد وتتجدد باستمرار(٣).

ولهذا فإن القراءة تتعدد بتعدد المناهج النقدية التي هي مناهج قراءة فنجد على سبيل المثال لا الحصر:-

ان رولان بارت أعطى أهمية كبيرة للقارئ لأنه رأى أن الدراسات النقدية قد ركزت عنايتها على المؤلف ولم تعط الأهمية الكافية للقارئ، ولذلك رأى بين القارئ والنص علاقة اشتهاء متبادل(٤).

---

(١) القراءة، وقراءة القراءة: ٢٠٩.

(٢) ينظر: تطور مفهوم القراءة، مقالة في مجلة أم القرى: ١ وما بعدها.

(٣) ينظر:النص الأدبي وتعدد القراءات: بشير إبراير، مجلة الحوار المتمدن العدد ١٣٩٠ لسنة ٢٠٠٨: ٥ وما بعدها.

(٤) ينظر: قراءة في القراءة، رشيد بن حدو مجلة الفكر المعاصر، عدد ٤٨-٤٩ لسنة ١٩٨٨: ١٥.

كما رأى بارت أن قراءة النص يجب أن تستند إلى النظام النصي نفسه الذي يستعان في توضيحه ببعض الفروع الأكاديمية كعلم النفس التحليلي والنقد الموضوعي والتاريخي[١].

أما مفهوم القراءة عند الحداثيين: فقد أصبح من الصعب الإمساك بمفهوم القراءة في الكتابات الحديثة، ذلك أن هذا المصطلح كما يقول علي حرب: (بات يشمل أي معطى كان، ويتصدر مفردات الخطاب المتعلقة بالفهم والتشخيص أو التقييم والتقدير) [٢].

ولهذا يرى عبد المجيد الشرفي أن مصطلحي التفسير والتأويل لا يعبران عن الدلالات اللامتناهية للنص فوجب تجاوزهما إلى مصطلح القراءة إذ قال: (لئن آثرنا تجاوز مصطلحي التفسير والتأويل إلى استعمال مصطلح القراءة، فلأن التعامل مع النص التأسيسي يحتمل نظريا بحكم أزليته عددا لا متناهيا من المعاني فسمة الإطلاق فيه تجعله يستوعب قراءات) [٣].

(١) ينظر: النص الأدبي وتعدد القراءات: ٦.
(٢) هكذا أقرأ ما بعد التفكيك: ٩.
(٣) في قراءة النص الديني، عبد المجيد الشرفي: ٩٤ -٩٥.

لقد ذهب الحداثيون مذاهب لا حصر لها في معنى القراءة فهي على سبيل المثال لا الحصر:-

عند نصر حامد أبي زيد عملية محكومة بالخفاء والكشف إذ قال: (في مقابل النصوص تقف القراءة أيضا محكومة بجدلية الإخفاء والكشف) (١).

أما عند محمد الطالبي فهي تعني الاجتهاد إذ قال: (لابد أن نوفر فضاء ثقافيا... يسمح بتطوير قراءة النص، وهو ما اصطلح عليه في لغة الفقهاء الاجتهاد) (٢).

كما نجد أن الدكتور عبد الحكيم راضي يضع شروطاً للقراءة الصحيحة للتراث، فيرى أن القراءة الصحيحة يجب ان تتجرد من أي حكم أو فكرة سابقة، كما يجب أن يكون هناك الفهم التاريخي للنصوص والمصطلحات، والاقتصار بفهمها على ما أريد منها، كما يجب التفرقة بين الاتجاهات العامة المؤثرة والنصوص المفردة أو الشاذة غير المؤثرة، وأخيراً التمييز بين النتائج والمقدمات، والحذر من أن النتائج المتشابهة قد يكون صدورها ممكنا عن مقدمات مختلفة(٣).

---

(١) الخطاب الديني رؤية نقدية: ٥٨.
(٢) مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير، للدكتور فاطمة الزهراء الناصري: ٣. ينظر مصدره.
(٣) ينظر: النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي: د. عبد الحكيم راضي: دار الشايب للنشر، ط١ / ١٩٩٣م: ١١-١٢.